مقاصد قرآنية في سورة الغاشية

أعداد

د. محمد بن زايد بن طلق المطيري

دكتور متعاون كلية الحرم المكي الشريف

مقاصد قرآنية في سورة الغاشية.

اسم الباحث: **محمد بن زايد بن طلق المطيري**

معلم بإدارة تعليم مكة المكرمة

واستاذ متعاون بكلية الحرم المكي الشريف

المملكة العربية السعودية.

بيانات التواصل: mohamd-zt@hotmail.com

ملخص البحث: يعالج البحث موضـــوع (مقاصـــد القرآن) من ناحيتي التأصيل والتطبيق.

في الجانب التأصيلي: تحديد لماهية مقاصد القرآن، والسِّمات المميزة لها، وأنواعها، وطرق كشـــفها، وفوائد معرفتها. **وفي الجانب التطبيقي:** اســـتعراض لبعض المقاصد القرآنية التي يمكن استنباطها من خلال التأمل والتدبر في آيات (سورة الغاشية).

منهج البحث: المنهج الاستنباطي.

ومن نتائج هذا البحث: تحديد جملة من السِّـــمات والمعايير التي تميز المقاصـــد القرآنية. اســـتنباط ثمانية من المقاصـــد القرآنية في ســـورة الغاشـــية، وتقسـيمها إلى مقاصـد كلية وجزيئة. البحث في موضـوع المقاصـد القرآنية هو صورة مِن صور التفسير الموضوعي. استخراج مقاصد القرآن عملية استنباطيّة لا بد فيها من مراعاة شروط الاستنباط وضوابطه.

التوصـــيات: الاهتمام بضـــرورة تناول موضـــوع مقاصـــد القرآن الكريم من منظورٍ دعويّ وتربويّ.

الكلمات المفتاحيّة: مقاصـــد القرآن، ســـورة الغاشـــية، اســـتنباط، تدبر، تأصيل، تطبيق.

Qur'anic Purposes in Surat Al-Ghashiyah

Researcher: Mohammed Zayed Talq Al-Mutairi

Researcher C.V.: Teacher in the Department of Education in Makkah، a collaborative prof. in the Faculty of the Holy Mosque.

Email: mohamd-zt@hotmail.com

Abstract

This research addresses the theme of (purposes of Qur'an) in terms of foundation (*ta'seel*) and application:

In the foundation (*ta'seel*) aspect: a definition of what the purposes of Quran and its distinctive features، types، methods of detection، and the benefits of knowing them.

In the application side: a review of some of the Qur'anic purposes that can be derived through reflection and speculation in the verses of (Surat Al-Ghashiyah).

Methodology: The inferential approach.

Main results:

1 - Identifying a number of features and criteria that characterize the purposes of Quran.

2 - Deducing nine of the Qur'anic purposes in Surat Al-Ghashiyah، and dividing them into comprehensive purposes and partial purposes.

3 - Research on the subject of Qur'anic purposes is one type of the objective interpretations.

4 - Extracting the purposes of Quran is an inferential process، which must take into account the conditions and rules of inference.

Recommendations: Dealing with the subject of the purposes of Quran must be performed from a religious and educational perspective.

Keywords: Purposes of Qur'an، Surat Al-Ghashiyah، inference، speculation، foundation (*ta'seel*)، application.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. أما بعد،،،

فإن الله جل ثناؤه قد حثّ على تدبر كتابه الكريم فقال عز من قائل:﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[ص: ٢٩]؛ لأنَّ مَن عَقِل معان ما أنزل الله، فعمل بمحكم التنزيل، وآمَن بمتشابه، وصدَّق بما فيه من وعد الغيب، كان كلام الله تعالى له زاجرًا عن كل معصية، ووجد له من الحلاوة واللذة ما لا يجدها من أُقفِل قلبه عن تعقل تلك المعاني، قال سبحانه:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾[محمد: ٢٤].

وكان من ثمرات التدبر للكتاب المبين "أنَّ يصل العبد إلى درجة اليقين والعلم بأنه كلام الله؛ لأنه يراه يصدق بعضه بعضا، ويوافق بعضه بعضا"(١)، قال تعالى:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾[النساء: ٨٢]، ومن صور تدبر القرآن العظيم: التفكر في سوره وآياته واستنباط القضايا الكُلّية والغايات الأساسية التي أنزل القرآن لتقريرها. وهو باب من أبواب العلم بالقرآن اصطلح على تسميته: (بمقاصد القرآن الكريم).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ص١٨٩).

وهذا البحث لدراسة موضوع المقاصد القرآنية التي يمكن استنباطها من خلال التأمل في سورة من سور القرآن المجيد، فكان هذا البحث، وقد عنونته بـ(مقاصد قرآنية في سورة الغاشية).

تساؤلات موضوع الدراسة:

١-ما المقصود بمصطلح (مقاصد القرآن)؟ وما هي المعايير الدقيقة والسمات المميزة لاعتبار (موضوع دون غيره) مقصدًا من مقاصد القرآن الكريم؟

٢-ما هي المقاصد القرآنيّة التي يمكن استنباطها من سورة الغاشية؟

أهميّة البحث:

١-أنّه يتناول بالدِّراسة موضوع مقاصد القرآن بشيءٍ من التحليل والتدقيق مما يُساهم في إبراز بعض جوانبه.

٢-أنّه يتعلق بسورة الغاشية، وهي سُورة اختارها النبي ﷺ لتقرأ في مجامع المسلمين العِظام كالجُمَع والأعياد،

وهذه الدراسة تُظْهِر جوانب من حِكَم ذلك الاختيار النَّبوي.

٣-في النَّهْج الذي سلكته الدِّراسة لاستنباط المقاصد القرآنية من خلال آيات هذه السورة الكريمة وسياقاتها.

٤-أنَّ العكوف على قراءة سورة من سور القرآن الكريم، ومطالعة تفسيرها، وتدبر آياتها، يفتح للعبد باباً في العِلم ومدارسته(١).

أهداف البحث:

١- التعريف بمصطلح (مقاصد القرآن)، ورصد السِّمات والمعايير التي تُميِّز هذه المقاصد.

٢- استنباط مقاصد قرآنية اشتملت عليها هذه السورة المباركة.

حدود البحث:

استنباط المقاصد القرآنية من خلال (سورة الغاشية) دون غيرها من السُّور.

منهج البحث:

يستخدم البحث المنهج الاستنباطي في استخراج المقاصد القرآنية من خلال تفهم وتدبر معاني الآيات وسياقاتها.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة اختصت باستنباط مقاصد قرآنية من سورة الغاشية.

أسباب اختيار هذا الموضوع:

١-فيه تناول لموضوع من موضوعات علوم القرآن الكريم بالدّرْسِ والتأصيل والتطبيق.

---

(١) الاهتمام ببعض سور القرآن تَعَلُّمًا وتعليمًا له أصل مِن فعل مفَسِّري السَّلف فقد رُوي عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قوله: "سلوني عن سورة النساء، فإني قرأت القرآن وأنا صغير". رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣٣٠/٢).

٢-فيه استجابة للأمر الرّباني بتدبر آيات كتابه الكريم.

٣-في هذا الموضوع كَشْف عن جوانب عِلْميّة وإيمانيّة وتربوية.

خطة البحث: يتكون البحث من مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة: وفيها الحديث باقتضاب عن موضوع البحث، وأسئلته التي يسعى للإجابة عنها، ومن ثمَّ أهميته، وأهدافه، وحدوده، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة.

المبحث الأول: مقدمات تعريفية بمقاصد القرآن، وبسورة الغاشية. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مقدمات تعريفية بمقاصد القرآن.

١-معنى المقاصد في اللغة.

٢-معنى مقاصد القرآن اصطلاحًا.

٣-خصائص مقاصد القرآن.

٤-أنواع مقاصد القرآن.

٥-كيفية استخراج مقاصد القرآن.

٦-أهميّة التعرف على مقاصد القرآن.

المطلب الثاني: مقدمات تعريفية بسورة الغاشية.

١-أسماء السورة.

٢-مكيّة السورة أو مدنيتها.

٣-عدد آياتِها.

٤-فضل السورة ووقت قراءتها.

٥-مقصد السّورة وموضوعاتها.

المبحث الثاني: مقاصد قرآنيّة اشتملت عليها سورة الغاشية. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مقاصد قرآنية كلية اشتملت عليها سورة الغاشية. وتحته ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: اليقين بالبعث والحساب.

المقصد الثاني: هداية المكلف.

المقصد الثالث: الإنذار والتذكير.

المطلب الثاني: مقاصد قرآنية جزئية اشتملت عليها سورة الغاشية. وتحته خمسة مقاصد:

المقصد الأول: صيانة الجوارِح عن اللغو والآثام.

المقصد الثاني: تقرير مبدأ (لا إكراه في الدِّين)، وعدم جبر النَّاس على الإيمان.

المقصد الثالث: التأكيد على أنه ليس للرُّسل من أمر الدعوة إلا التذكير والبلاغ.

المقصد الرابع: الدَّعوة إلى النَّظر والتفكر في آياتِ الله.

المقصد الخامس: الحث على التعبد المشروع بالاتباع لا الابتداع.

ثُمَّ **الخاتمة:** وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وبعد، اللهم أبرأ إليك من حولي وقوتي، وأعوذُ بك من الخطأ والزلل، وأن أتكلف ما لا أحسن، اللهم وفقني لما تحب وترضى من الأقوال والأفعال والنيات، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ، وعلى آله، وصحبه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

المبحث الأول

مقدمات تعريفية بمقاصد القرآن، وبسورة الغاشية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول

مقدمات تعريفية بمقاصد القرآن.

أولاً: معنى المقاصد في اللغة:

المقاصد مصدر قَصَد يقصِد كضرب يضرب، وأصل المادة في اللغة تدور حول معنى: "الاعْتِزَام وَالتَّوَجُّه والنهود والنهوض نَحْوَ الشَّيْءِ"(١)، فيقال: (قَصَدَ الرجلُ الأمرَ يقصِده قَصْداً، إذا أمَّه)(٢). (وقَصَدْتُهُ، وقَصَدْتُ له، وقَصَدْتُ إليه كله بمعنًى واحد) (٣). ثم هذه اللفظة تطلق على معانٍ متقاربة بحسب تنوع سياقاتها، ومن تلك المعاني:

١-**الاستقامة.** فالقَصْدُ استقامة الطريقة(٤)، ومنه: (اقتصد فلَان فِي أمره: إِذا استقام)(٥).

(١) لسان العرب, لابن منظور (٣/٣٥٥).
(٢)جمهرة اللغة, لابن دريد (٢/٦٥٦).
(٣)الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية, للجوهري (٢/٥٢٤).
(٤)العين, الخليل بن أحمد الفراهيدي (٥/٥٤).
(٥)تهذيب اللغة, للأزهري (٨/٢٧٦).

٢-**السهولة والقرب**. ومنه: (طريقٌ قَاصِدٌ: سَهْلٌ مُسْتَقِيمٌ. وسَفَرٌ قاصدٌ: سَهْلٌ قَرِيبٌ) [١].

٣-**البيان والوضوح**. ومنه قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾[النحل: ٩]؛ أَي عَلَى اللَّهِ تَبْيِينُ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ والدعاءُ إِليه بِالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ[٢].

٤-**الاعتدال، والاستواء ،والتوسط بين الطرفين**[٣]،ومنه:(القصد: العدل)[٤]، و(المعتدِلُ

الَّذِي لَا يَمِيلُ إِلى أَحد طَرَفَيِ التَّفْرِيطِ والإِفراط)[٥]، (والقَصْدُ: الاسْتوَاء) [٦]، و(قصد فلَان فِي مَشْيه إِذا مَشى

سَوِيّاً)[٧]، و(الْقَصْدُ فِي الْمَعِيشَةِ: أَن لَا تُسْرِفَ وَلَا تُقَتِّر)، و(المقتَصِدُ من الرِّجال الذي ليس بقصير ولا جسيم)[٨].

---

(١) لسان العرب (٣/٣٥٣).

(٢) لسان العرب (٣/٣٥٣).

(٣) لسان العرب (٣/٣٥٣).

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢/٥٢٤).

(٥) لسان العرب (٣/٣٥٤).

(٦) جمهرة اللغة (٢/٦٥٦).

(٧) تهذيب اللغة (٨/٢٧٦).

(٨) العين (٥/٥٥).

٥- **التمام**. ومنه (القَصيدُ: ما تم شطر أبنيته من الشعر)[١].

٦-**الكسر**. ومنه: (انقَصَدَ الرمح أي انكسر نصفين حتى يبين)[٢].و(قَصَدْتُ العودَ قَصْداً: كسرته)[٣].

ثانياً: معنى مقاصد القرآن اصطلاحًا.

عُرِّفَ مصطلح (مقاصد القرآن) بعِدّة تعريفاتٍ متقارِبة، منها:

١-"الغايات التي أُنزل القرآن لأجلها، تحقيقاً لمصالح العباد"[٤].

٢-"القضايا الأساسية والمحاور الكبرى التي دارت عليها سور القرآن وآياته، تعريفًا برسالة الإسلام، وتحقيقًا لمنهجه في هداية البشرية"[٥]. أو "المحاور الكبرى والقضايا العامة التي جاء القرآن الكريم لتقريرها"[٦].

---

(١) العين (٥/٥٥), تهذيب اللغة (٨/٢٧٤).

(٢) العين (٥/٥٥).

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢/٥٢٤).

(٤) المدخل إلى مقاصد القرآن, عبد الكريم حامدي (٣١). وأضاف د. يوسف البدوي إضافة على هذا التعريف فقال: "الغايات التي أنزل القرآن لأجلها, تحقيقًا للعبودية لله ومصالح العباد". انظر علاقة مقاصد الشريعة بالقرآن, مجلة الشاطبي للدراسات القرآنية, ع(١٩), ص(٢٧٠, ٣١٠).

(٥) جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن, د. مسعود بو دوخة, مطبوع ضمن بحوث مؤتمر جهود الأمة في خدمة القرآن وعلومه, (٤/٢٠٠٢).

(٦) جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن, د. مسعود بو دوخة (٤/٢٠٠٨).

والتعريف الأول انطُلِق في صياغته من المعنى اللغوي للمقاصد، ويظهر فيه التأثر الواضح بتعريف مقاصد الشريعة، بينما نجد التعريف الثاني نُبِّه في صياغته على أهم خصائص المقاصد القرآنية على الحقيقة.

ثالثاً: خصائص مقاصد القرآن:

عند الحديث عن خصائص مقاصد القرآن الكريم لابد أن نأخذ في الاعتبار تلك الخصائص اللغوية للفظة (قصد) ومشتقاتها اللفظية؛ لأنَّها سوف تقودنا بإذن الله تعالى إلى التحديد الدقيق لخصائص المقاصد القرآنية، فكل مقصدٍ يستخرجه القارئ لكتاب الله لابد أن تتوافر فيه تلك الخصائص، حتى يصدق عليه وصف (مقاصد القرآن).

ويمكن إجمال هذه الخصائص فيما يلي:

١-أن يكون ذلك المقصد مما أُنزل القرآن الكريم لأجله، وعُنِي بتحقيقه تحقيقاً مباشراً.

٢-البيان والوضوح.

فينبغي حتى نعُدّ هذا المقصد مقصداً قرآنياً، أن يكون مُبيَّنًا في آيات الكتاب العزيز؛ فيتكرر وروده بأساليب وطرق متنوعة، مما يُفِيدُ في وضوح هذا المقصد وقربه، وسهولة تقريره.

٣-الوسطيّة والاعتدال والاستقامة.

فلا يصح أن يُنسب إلى القرآن الكريم كل مقصد تتخلف في هذه الصفة.

٤-الكمال والتمام.

فالمقاصد القرآنية مقاصد تامّة من كُلِّ وجه؛ لأنَّها تجمع مصالح الدنيا والآخرة، ومصالح الفرد والمجتمع، وتعم الحديث عن قضايا الألوهية والكون والإنسان، وتجمع في خطابها بين جوانب الإنسان العقلية والروحية والمادية. فهي جامعة لجوانب متعددة من القضايا والمصالح، حيث لا يطغى فيها جانب على جانب[١].

رابعاً: أنواع مقاصد القرآن.

تنوعت طرائق أهل العِلم -ممن كتب في هذا الباب- فذكروا عِدّة اعتبارات في عَرْضِهم لأنواع المقاصد القرآنية، فمنهم على سبيل المثال مَن قسّم مقاصد القرآن إلى: (مقاصد القرآن عامّة، ومقاصد السور، ومقاصد الآيات)[٢]، وهذا حال مَن نظر في التقسيم إلى جانب التأصيل والتقعيد العام.

وثمت مثال ثانٍ: عمَد صاحِبُه في تقسيم المقاصد القرآنيّة بالنَّظر إلى حقيقتها، فجعلها ثلاثة أقسام: (المقصد الأقصى، ومقاصد أساسية، ومقاصد خادمة)[٣].

---

(١) المدخل إلى مقاصد القرآن (٤٨- ٥٧).

(٢) جهود الأمة في مقاصد القرآن الكريم, د. أحمد الريسوني, مطبوع ضمن بحوث مؤتمر جهود الأمة في خدمة القرآن وعلومه, (١٩٧٧/٤).

(٣) ويعني بالمقصد الأقصى: إخلاص العبودية إلى الله, وبالمقاصد الأساسية: العِلم الحق, والإيمان الصحيح, والعمل الصالح, ويعني بالمقاصد الخادِمة: الوسائل المحققة للمقاصد

والأفضل في سياقات هذا البحث التطبيقي: النظر إلى المقاصد القرآنية باعتبار كونها قضايا ومحاور كلية تشتمل في حقيقتها على قضايا جزيئة، ومِن ثَمّ يمكن تقسيم المقاصد القرآنيّة إلى قِسمين:

الأول: مقاصد كلية للقرآن الكريم.

والثاني: مقاصد جزيئة خاصّة.

والمراد بها: تلك المحاور والموضوعات أو القضايا التي تكرر ورودها في القرآن الكريم، وهي تندرج تحت أصلٍ ومقصدٍ قرآني كُلِّيٍّ، فتلك المقاصد الجزيئة تُشَكِّل بمجموعها مقصدًا كليًّا من مقاصد القرآن الكريم.

مثال ذلك:

مِن المقاصد العامّة الكُلِّية للقرآن الكريم: إثبات النبوات.

ويندرج تحت هذا المقصد جملة من المقاصد القرآنِيّة الجزيئة التي تكرر ورودها في القرآن وباجتماعها يتكامل تحقق هذا المقصد القرآنيّ الكُلِّي، ومنها على سبيل المثال:

التعريف بالأنبياء وأممهم، تبيين حقيقة دعوة الأنبياء، وتعيين وظيفتهم، والتأكيد على أنَّه ليس لهم من أمر الدعوة إلا التذكير والبلاغ.

الأساسيّة, والمراد بها: حصول الوازع, والتذكير , والوعظ, والإحسان, والصبر . انظر أمهات مقاصد القرآن, د. عز الدين بن سعيد الجزائري, (٤٤٧ –٤٥٠).

خامسًا: كيفية استخراج مقاصد القرآن الكريم.

يمكن استخراج مقاصد القرآن الكريم بطريقتين اثنتين:

الطريقة الأولى: أنَّ يُنَصّ في القرآن الكريم على أنَّ هذا المعنى مقصدًا من مقاصد التنزيل. ومن أمثلة ذلِك:

١-إخراج الناس من الظلمات إلى النور، كما في قوله تعالى:﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم : ١].

٢-التدبر والتّذكر، كما في قوله سبحانه:﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

٣-الهداية والعِظة وتحقيق العبودية لله. ومن دلائل هذا المقصد، قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ١- ٢]، وقوله جل وعز: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[النحل: ٦٤]،

وقوله تعالى:﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: ١٣٨]،

وقوله جل ثناؤه:﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[الزمر: ٢].

الطريقة الثانية: التأمُّل والنَّظر في موضوع هذا المعنى والمقصد المُستنبط من القرآن الكريم، يُنظر فيه من خلال تلك الخصائص التي تقدمت، فإذا انطبقت عليه كلها صحّ إطلاق أنّ ذلك من المقاصد التي يمكن أن تنسب للقرآن، فيقال: إنّ هذا من (مقاصد القرآن الكريم)، وما اختلفت فيه تلك المعايير والخصائص فلا يُعدّ من مقاصده.

سادسًا: أهمية التعرف على مقاصد القرآن.

إنَّ تفهم مقاصد القرآن الكريم، والإلمام بموضوعاتها، له أهمية عُظمى، يمكن إجمال بعضها فيما يلي:

أولاً: أهميته في الجانب العِلمي التفسيري: وتظهر هذه الأهمية في جوانب :

١-الارتباط الوثيق بين المقاصد في بعض صورها-كمقاصد السور، والآيات- والسِّياق القرآني.

٢-البحث في مقاصد القرآن -في بعض جوانبه- يمثل صورة من صور التفسير الموضوعي؛ لما فيه من جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوعات مشتركة، ومن ثمّ استنباط القضايا العامة والمحاور الكبرى التي جاء القرآن الكريم لتقريرها بأساليب متنوعة [١].

---

(١)ينظر مثال لذلك كيفية استنباط د. أحمد الريسوني, لمقصد تعليم الفِكر القويم, من خلال استعراضه لآيات الكتاب العزيز التي تُظْهِر العناية بذلك, انظر جهود الأمة في مقاصد القرآن الكريم (١٩٧٧/٤).

٣-استحضار المقاصد القرآنية للسور والآيات معينٌ على صحة الاستنباط وسلامته.

٤-العصمة من التأويل الفاسد، والتفسير المباعد للحق والصواب[١]، كالتأويلات المنحرفة التي تخالف اللفظ في معناه وتخالف السياق في مقصده ومغزاه.

ثانياً: أهميته في الجانب التعبدي والتربوي والنفسي:

في البحث عن مقاصد القرآن الكريم إبراز لمحاسن هذا الكتاب العزيز[٢] وتعظيمه في النفوس، فالمسلم عندما يستشعر أثناء قراءته للقرآن: أثر عناية الله جل ثناؤه به، فهو سبحانه أنزل القرآن رحمة به، وهداية له، وهو سبحانه أنزل القرآن ليخرجه من ظلمات الكفر، والجهل، والغفلة، إلى نور الإيمان، والعِلم، والتذكر، فتلك المشاعرُ تُذكي في قلب المسلم: المحبة والرجاء، كما تُذكي في قلبه: الخوف والرهبة، فهو بها يعيش حياة ويقظة إيمانية؛ لأنَّه يقرأ كتاب ربه بقلبه، قبل أن يقرأه بلسانه، وأعظم النَّاس استشعاراً لذلك، وأشدهم خشية لله، أكثرهم عِلماً بالله وآياته.

---

(١) المدخل إلى مقاصد القرآن (ص٩٩), وانظر في التمثيل لذلك كتاب الموافقات للشاطبي (٢٣٣/٤).

(٢) المدخل إلى مقاصد القرآن (ص٩٦).

ثالثاً: أهميته في الجانب الدعوي:

أولى ما ينشغِل به الدُّعاة إلى الله، هو التركيز في ميادين دعوتهم على قضايا القرآن الكُبرى، والمقاصد العظمى؛ لأنَّها تحمل في طياتها الهداية للبشرية، والنور الذي تستدفع به الظلمات، عوضاً عن انشغالهم بجزئيات وتفريعات يمكن أن تندرج تحت تلك المقاصد والكُلِّيات التي تتحقق بها نجاة العبد في الدنيا والآخرة: كالإيمان بالله، وتوحيد الله بالعبادة، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالرسالات، وتعظيم شعائر الدين، والاجتماع والائتلاف.

المطلب الثاني

مقدمات تعريفية بسورة الغاشية.

أولاً : أسماء السورة. ذُكِرَ لهذه السورة ثلاثة أسماءٍ:

١-سورة الغاشية.

رُوي هذا الاسم عن عبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير[١]، وبه سُميت في المصاحف، وكتب الحديث[٢]، وأكثر كتب التفسير[٣].

٢-سورة ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾.

---

(١)انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٣٨٠/١٥).

(٢) جاءت هذه التسمية في بعض نسخ كتاب التفسير من صحيح البخاري, انظر فتح الباري لابن حجر (٥٧٠/٨), وعمدة القاري للعيني (٢٨٨/١٩), وكذلك جاءت التسمية في كتاب التفسير من جامع الترمذي (٤٠٩/٥), وكتاب التفسير من سنن النسائي الكبرى (٥١٤/٦), وكتاب التفسير من المستدرك على الصحيحين للحاكم (٥٦٧/٢).

(٣)انظر التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٩٣/٣٠), وأسماء سور القرآن وفضائلها د. منيرة الدوسري (٥٤٥- ٥٤٦).

وهو من تسمية السّورة بأول آيةٍ فيها، وقد رُويت هذه التسميةِ عن جمعٍ من الصحابةِ[١]، وكذا جاءت في بعض نسخ كتاب التفسير من صحيح البخاري[٢]، وبه عنونت في بعض التفاسير[٣].

٣-سورة ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ﴾[٤].

رُويت هذه التسمية عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما[٥]، وبها بوَّب البُخاري كما في بعض نسخ كتاب التفسير من صحيحه[٦].

---

(١)انظر الدر المنثور (١٥/٣٥٨- ٣٥٩).

(٢)صحيح البخاري (٦/٢٠٩), وانظر في ذلك فتح الباري (٨/٥٧٠), وعمدة القاري (١٩/٢٨٨).

(٣)تفسير عبد الرزاق الصنعاني (٣/٣٦٨), تفسير ابن أبي زمنين (٢/١٢٣).

(٤)التحرير والتنوير (٣٠/٢٩٣), قال الطاهر ابن عاشور: "وبذلك عنونها ابن عطية في تفسيره, وهو اختصار" أ.هـ. كذا قال رحمه الله, ولعل هذا في بعض نسخ التفسير المخطوطة؛ لأنَّ المطبوع مِن تفسير ابن عطية, هو بالاسم الأول: (تفسير سورة الغاشية), انظر الطبعة المغربية لتفسير المحرر الوجيز لابن عطية (١٦/٢٨٦), والطبعة القطرية له (٨/٥٩٦).

(٥)روى مسلم في صحيحه (٢/٥٩٨), ح(٨٧٨) أنَّ الضحاك بن قيس كتب إلى النعمان بن بشير, يسأله أي شيء قرأ رسول الله ﷺ يوم الجمعة سوى سورة الجمعة؟ فقال: كان يقرأ هل أتاك". هذا لفظ مسلم, وأكثر ألفاظ وطرق حديث النعمان جاء فيها: "كان يقرأ هل أتاك حديث الغاشية". انظر سنن أبي داود (٢/١١٤), سنن ابن ماجه (١/٣٥٥), سنن النسائي (٣/١١٢).

(٦)انظر فتح الباري (٨/٥٧٠) , وعمدة القاري (١٩/٢٨٨).

ثانياً: سورة الغاشية سورة مكية بالإجماع[١].

ثالثاً: عدد آياتها: ست وعشرون آية[٢].

رابعاً : فضل السورة ووقت قراءتها. عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية، قال: وإذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما أيضا في الصلاتين[٣].

خامساً: مقصد السورة وموضوعاتها.

تكاد تخلص سورة الغاشية للحديث عن **مقصد واحد: وهو إثبات الحساب والجزاء يوم القيامة.**

وقد ضمت هذه السورة موضوعات أربعة كلها ترجع إلى هذا المقصد:

الموضوع الأول: التخويف بظهور القيامة، وبيان حال المستوجبين للعقوبة، وذكر حال المستحِقّين للمثوبة على جهة الإجمال المُرَهِّب أو المرغب[٤].

وذلك في قوله تعالى:﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةَۢ ۝٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ۝٥ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن

(١)انظر تفسير السمعاني (٢١٢/٦), المحرر الوجيز لابن عطية (٢٨٦/١٦), زاد المسير لابن الجوزي (٢٣٢/٨).

(٢)البيان في عدِّ القرآن لأبي عمرو الداني (٢٧٢).

(٣)رواه مسلم في صحيحه (٥٩٨/٢), ح(٨٧٨).

(٤)بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي (٥١٦/١), التحرير والتنوير (٢٩٣/٣٠).

ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ۝٧ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ نَّاعِمَةٞ ۝٨ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ۝١٠ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ۝١١ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ۝١٣ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ۝١٦ ﴾ [الغاشية: ١-١٦].

الموضوع الثاني: إقامة الدّلائل على إثبات قدرة الله جل ثناؤه على إنزال ما وصف من العقاب والنّكال الذي أعدّه لأهل عداوته، والنعيم والكرامة التي أعدّها لأهل طاعته[1]. ويُمَثّله قوله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ۝١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ۝١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴾[الغاشية: ١٧-٢٠].

الموضوع الثالث: بيانُ مهمةِ النبي ﷺ وتسليته عمَّا يجده من الإعراض والكفر[2]. وذلك في قوله جل وعز: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ۝٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴾[الغاشية: ٢١-٢٢].

الموضوع الرابع: وعيد من أعرض وكفر بالنَّار والجزاء على الأعمال بعد البعث. ودليله قوله تعالى:﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ۝٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ۝٢٤ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴾ [الغاشية: ٢٣-٢٦].

---

(١)تفسير الطبري (٣٣٨/٢٤).

(٢)التحرير والتنوير (٢٩٤/٣٠).

المبحث الثاني
مقاصد قرآنيّة في سورة الغاشية.

يرصد هذا المبحث جملة مِن مقاصد القرآن الكريم المستنبطة من خلال التأمل في آيات هذه السورة المباركة، والتي يمكن تقسيمها إلى قسمين: مقاصد قرآنية كلية، ومقاصد قرآنية جزئية، وتفصيل ذلك في المطلبين التاليين:

المطلب الأول
مقاصد قرآنية كلية في سورة الغاشية.

وتحته ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: اليقين بالبعث والحساب(١). قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢] وقد جاء في سورة الغاشية تقريرُ هذا المقصد في خمسة مواضع:

الموضع الأول: في ذلك الاستفهام المشوب بالتعظيم والتخويف من اسم ذلك اليوم، فكيف لو عاين العباد حقيقته، قال جل ثناؤه: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾[الغاشية: ١]، رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: "﴿ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾ من أسماء يوم القيامة، عظَّمه الله، وحذّره عباده"(٢). وهذا الأثر قد اشتمل على فوائد جليلة: منها أنَّ الغاشية اسمٌ من أسماء يوم القيامة، وأنَّ ليوم القيامة أسماء

(١) أمهات مقاصد القرآن, عز الدين الجزائري (ص٢٦٨).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٧٥/٣٠).

كثيرة مبثوثة في كتاب الله جل ثناؤه[١]، وأنَّ لتعدد هذه الأسماء فوائد منها: تعظيم الله جل وعز ليوم القيامة، وتحذيرُ العباد منه، وأنَّ هذه المعاني كانت مستقرة عند الصحابة ﷺ لتأثرهم بالقرآن، فهم قرأوا القرآن بقلوبهم قبل ألسنتهم.

ثُمَّ هذا الاستفهام المُوحي بالعظمة يُشير إلى أن أمر الآخرة مما سبق به التقريرُ والتذكيرُ، ولشدة استحضار النبي ﷺ لحقيقةِ الخطاب في هذه الآية القرآنية[٢]، فقد رُوي في التفسير أنَّه ﷺ مرَّ على امرأة تقرأ : ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴾[الغاشية: ١] فقام يستمع، ويقول: "نعم، قد جاءني"[٣]. والخطابُ بعدُ عام لكل من يسمع هذا الآية. فحديث الغاشية هو حديث القرآن المتكرر، يُذَكِّر به ويُنْذِر ويُبَشِّر؛ ويستجيش به خشية القلوب وتقواها، كما يُثير به رجاء النفوس وتطلعها. وذاك كفيل بأنّ يبعث في تلك القلوب حياة الإيمان، وفي تلك النفوس نور القرآن، فلا يلحقها بعد موت الغفلة ولا ظلمة النسيان[٤].

---

(١) جمعها الغزالي, ثم القرطبي فبلغت نحو الثمانين اسما, انظر فتح الباري (٣٩٦/١١).

(٢) من أعظم قواعِد التأثر بالقرآن الكريم: شدة استحضار حقيقة الخطاب القرآني عند قراءة القرآن الكريم أو الاستماع له. فمتى ما استحضر الإنسان ذلك؛ سمت روحه, فشعر بخشوع القلب ورقته, وطمأنينة النفس وراحتها, كيف لا وهو يستحضر أنَّ الله يخاطبه ويكلمه! ومن كانت هذه حاله لم يشبع من قراءة القرآن والاستماع له.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده من حديث عمرو بن ميمون عن النبي ﷺ مرسلاً, انظر تفسير ابن كثير (٣٨٤/٨).

(٤) انظر في ظلال القرآن لسيد قطب (٣٨٩٦/٦).

الموضع الثاني: التمايز بين حال الأشقياء والسعداء في يوم البعث والنشور. وتأمل المقابلة بين قوله تعالى:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ [الغاشية: ٢-٤]، وقوله سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ [الغاشية: ٨- ١٠]، فالأولى في أهل الشقاء والعذاب، خشعت وجوههم من الذل، والفضيحة والخزي، والثانية في أهل السعادة والنعيم، قد جرت عليهم نضرة النعيم في أبدانهم، واستنارت وجوههم، وسُرُّوا غاية السرور.

ولهذا التمايز بين أهل السعادة والشقاء نظائرُ في الكتاب العزيز، فالله تعالى ذكره يقول في سيما أهل النَّار:﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [يونس: ٢٧]، وقال جل وعز:﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾ [عبس: ٤٠]، وقال: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ [طه: ١٠٢]. وفي وجوه أهل الإيمان والجنان، يقول الباري جل ثناؤه:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٢ - ٢٣]، ويقول تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ [عبس: ٣٨ - ٤٠].

الموضع الثالث: في عرض مشاهِد العذاب والنعيم.

سورة الغاشية من السُّور التي طال فيها عرضُ صور النعيم، فقد بلغت صور العذاب في هذه السورة خمس صورٍ، بينما بلغت صور النعيم تسع صورٍ. فالله جل وعز ذكر جزاء أهل النَّار فقال:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣

تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾[الغاشية: ٢-٧]، وذكر جزاء أهل الجنان فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾[الغاشية: ٨-١٦].

الموضع الرابع: تقرير أنَّ المرجع إلى اللهِ تعالى ذِكره.

فقد قال جل وعز: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴾[الغاشية: ٢٥]، فالمرجع مهما طغى الإنسان واستغنى، فإن مَرْجِعه إلى الله، لا يمكن لأحد أن يفر من قضاءه أبداً، ولا من جزاءه وعدله، قال الله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾[العلق: ٨]، فهناك القصاص الحقيقي، والجزاء الذي ينتظرُ كل كافر وفاجر وظالم: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾[يونس: ٤٦]. وقد قرَّر الله جل ثناؤه هذه الحقيقة في القرآن الكريم في عِدَّة مواضع من كتابه الكريم:

منها قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ [مريم: ٤٠]، وقوله جل وعز: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقوله تعالى ذكره: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٧]، وقوله: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ [غافر: ٧٧]، وقوله تعالى: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾[هود: ٤].

الموضع الخامس: إثبات أنَّ الحساب والجزاء على الله تعالى، ومن دلائله في هذه السّورة قوله جل ثناؤه: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴾[الغاشية: ٢٣-٢٤]، وقوله سبحانه:﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٦]، بتقدم حرف التأكيد، وإسناد ذلك للفظ الجلالة (الله) بحرف (على)، مما يؤكد ذلك الحِساب لا محالة، وأنه بأدق ما يكون على الصغيرة والكبيرة كما في قوله تعالى:﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤][1]. وهذا المعنى جاء تقريره في آيات من الكتاب العزيز:

منها جل وعز: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾[الرعد: ٤٠]، وقوله سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[الأنبياء: ٤٧]، وقوله:﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧]،

وقوله جل ثناؤه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩]، وقوله تعالى ذكره: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾ [الشعراء: ١١٣].

---

(١) تتمة أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن, لمحمد عطية سالم (٩/٢٠٥- ٢٠٦).

المقصد الثاني: هداية المكلف.

من مقاصد نزول القرآن الكريم: هداية الإنسان، فالقرآن مشتملٌ على هداية الدّلالة والبيان لجميع النَّاس، قال الله جل وعز:﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾[البقرة: ١٨٥]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء: ٩]، فمن آمن بالله واتقاه، وانقاد لأمره واتبع رضوانه فقد تحققت له كمال الهداية قال تعالى:﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ٢]، وقال جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢]، وقال:﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وقد تنوعت أساليب القرآن في عرض الهدايةِ القرآنية، والترغيب فيها، **والمتأمِل في سورة الغاشية يلمس تقرير هذا المقصد القرآني، في موضعين اثنين:**

الأول: إشارات الآيات إلى أنَّ قبول الهداية والاستجابة إلى التذكير هو توفيق محضٌ من الله جل ثناؤه، وهذا مأخوذٌ من مفهوم قوله جل ثناؤه:﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[الغاشية: ٢١-٢٢] والمعنى: فليس لك أيها النبي الكريم إلا الدعوة والتذكير، فلم تُبْعَث على النَّاس مُسَلَّطاً

تُكْرههم على الإيمان، ولم تُبعث عليهم جباراً قاهِراً، فكِلْهُم إلى الله؛ لأنَّ الهداية بيده يُوفِق إليها مَن شاء مِن عباده. فالله تعالى يقول: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[الأعراف: ١٧٨]،

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾[الإسراء: ٩٧].

والثاني: أنَّ السورة تعرضت لمانعٍ من موانع قبول الهداية: وهو التولي والكفر(١). قال عز وجل:﴿أَلَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴾ [الغاشية: ٢٢-٢٣]، والمعنى: لكن من تولى وكفر، فيعذبه الله في نار جهنم، وذلِك العذابُ الأكبر، وإنَّما نصَّ الباري جلَّ ثناؤه على هذين الوصفين، وهما وصف التولي والكفر؛ لما لهما من الأثر الأكبر في عدم الاستجابة للدعوة التي قام بها الأنبياء والمصلحون من بعدهم.

المقصد الثالث: الإنذار والتذكير.

وهما من مقاصد القرآن الكريم وقد جمع الله بينهما في قوله جل ثناؤه: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[الأعراف: ٢]، ومن دلائل هذا المقصد قوله جل وعزّ: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا

(١) الهداية في القرآن الكريم (ص١٤٢).

فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [فصلت: ١-٤]، وقوله سبحانه: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾[الدخان: ١-٣]، وقوله تعالى:﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[ص: ٢٩]، وقوله: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾[طه:١-٣]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤١].

وقد أُمر النبي ﷺ بتلاوة القرآن والإنذار به والتذكير تحقيقًا لهذا المقصد القرآني، فقال تعالى:﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٩١ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾[النمل: ٩١-٩٢]، وقال:﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[ق: ٤٥].

وفي سورة الغاشية جاء التنبيه إلى هذا المقصد القرآني من خلال أسلوب الترغيب والترهيب:

أما الترهيب فقد ظهر ذلك واضحًا في موضعين، **الأول:** الترهيب بذكر صور من عذاب الآخرة؛ تتعذب بها نفوس من أعرض عن الإيمان وكفر بالله. **والموضع الثاني:** جاء في وصف عذاب النَّار الذي ينتظر من تولى وكفر؛ بأنه العذاب الأكبر، فقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾[الغاشية: ٢١-٢٤] وفي ذلك إيقاظ لباعث الخوف والقلق في النفوس من هذا المصير؛ مما يدفعها إلى الإيمان والاستقامة على التوحيد والطاعة، والبعد عما يقدح في أصل ذلك أو في كماله كالشرك والمعاصي.

وأما أسلوب الترغيب فالقارئ لسورة الغاشية يجده ظاهرًا في موضعين اثنين، **الأول:** ما ذُكِر في أول السورة مِن صور تنعم المؤمنين بألوان النعيم في الجنة، مما يُثير في نفس المؤمن الشوق إلى الطاعة، والمسارعة فيها، والمسابقة إليها. والموضع **الثاني:** ذِكر بعض آثار العمل الصالح في الآخرة؛ وهو الرضا في الآخرة، قال تعالى مبينًا ذلك: ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [الغاشية: ٩] يعني: لعملها الذي عملت في الدنيا من طاعة ربها راضية، رُوي نحو ذلك عن سفيان الثوري(١)، وقيل: ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [الغاشية: ٩] أي لثواب سعيها في الآخرة راضية(٢)، وهذان القولان متلازمان، فنفس المؤمن راضية عما قدمت من عملٍ صالحٍ في الدنيا، وهي راضية عن ثواب ربّها في الآخرة.

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم عن سفيان في قوله:﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ قال: "رضيت عملها". انظر الدر المنثور (٣٨٥/١٥).

(٢) تفسير الطبري (١٧٨/٣٠).

المطلب الثاني

مقاصد قرآنية جزئية في سورة الغاشية.

وتحته ستة مقاصد:

المقصد الأول: صيانة الجوارح عن اللغو والآثام.

امتن الله تعالى ذكره على عباده أهل جنته بعدم سماعهم لكل كلام قبيح، فقال جل وعز في سورة الغاشية:﴿لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴾[الغاشية: ١١]، ولهذا المعنى في القرآن الكريم نظائر كثيرة، منها قوله جل ثناؤه:﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ٦١ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ﴾ [مريم:٦٠- ٦٢]، وقوله:﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴾[الواقعة: ٢٥]، وقوله سبحانه:﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ﴾ [النبأ: ٣٥].

وصيانةُ أسماع أهل الجنة عن اللغو والكذب والباطل؛ يقتضي صيانة ألسنتهم عن ذلك كُلِّه. وإنما كان هذا الخُلق العجيب منهم؛ لسلامة قلوب أهل الجنان من مكدرات الحياة، وتسلط شياطين الإنس والجانّ، قال تعالى:﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾[الحجر: ٤٧].

وفي ذِكر هذه الصفة من صفات نعيم أهل الجنان؛ تنبيهٌ ظاهرٌ على وجوب تَجَنّب اللغو[1]، وأنّ ذلك من تمام صفات عباد الله المتقين في هذه الحياة الدنيا، قال سبحانه:﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴾[المؤمنون: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴾[الفرقان: ٧٢]، وقال جل وعز: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ

(١) انظر تفسير الرازي (٥٥٣/٢١).

ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[القصص: ٥٥].

والمُتأمِّلُ في نصوص الكِتاب يلمسُ حرص القرآن الكريم على الأسلوب الذي يُؤدى به الكلام، والطريقة التي يُطرح بها، فهو يُوجّه نحو التزام أدب الكلام من خلال تسميات مختلفة(١)، كتسميته مثلاً: بالقول الحسن(٢)، والقول المعروف(٣)، والقول السديد(٤)، والقول الميسور(٥)، والقول الكريم(٦).

---

(١) أدب الكلام وأثره في بناء العلاقات الإنسانية في ضوء القرآن الكريم, د. عودة عبد عودة (٣٦٠).

(٢) قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾ [البقرة: ٨٣].

(٣) قال تعالى: ﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

(٤) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴾ [الأحزاب: ٧٠].

(٥) قال تعالى:﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ﴾ [الإسراء: ٢٨].

(٦) قال تعالى:﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴾ [الإسراء: ٢٣].

المقصد الثاني: تقرير مبدأ (لا إكراه في الدين)، وعدم جبر النَّاس على الإيمان.

الإسلام دين العقل والعلم، ودين الفطرة والحكمة، ودين الصلاح والإصلاح، ودين الحق والرشد، فلكماله، وكمال براهينه، واتضاح آياته، وقبول الفطرة له؛ لا يحتاج إلى الإكراه عليه لكل مُنْصِفٍ قَصْدُه اتباع الحق(١)، قال سبحانه:﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وفي جبر النَّاس، وإكراههم على الإسلام منافاة لسنةٍ من سُنن الله الكونية، وهي اختلاف الناس على أديانٍ وملٍل وأهواءٍ شتى، قال جل ثناؤه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[القصص: ٥٦]، وقال تعالى:﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾[هود: ١١٨-١١٩]، وقال سبحانه:﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩]، وقال عز من قائل:﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ [هود: ٢٨].

(١) تفسير السعدي (١١٠, ٩٥٤).

وهذا المقصد القرآني جاءت الإشارة إليه في سورة الغاشية في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢١-٢٢]، أي: يقول: لست عليهم بمُسلَّطٍ، ولا أَنت بِجَبَّارٍ، تَحمِلهم على ما تريد، وتكرههم على الإيمان(١).

المقصد الثالث: التأكيدُ على أنه ليس للرُّسل من أمر الدعوة إلا التذكير والبلاغ.

وقد تكرر ذِكْرُ هذا المقصد القُرآني في كتاب الله جل ثناؤه في مواضع عدَّة، منها قوله تعالى في هذه السورة:﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١]، وقوله جل وعزّ:﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٣]، وفي قوله سبحانه:﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٩]، وقوله:﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، وقوله تعالى:﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[النحل: ٣٥]، ويقول جل ثناؤه:﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فاطر: ٢٤]، فهي مهمة بشارة ونِذارة فقط قال تعالى ذكره:﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩]، وقال سبحانه:﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ

(١) تفسير الطبري (٣٤٠/٢٤), زاد المسير لابن الجوزي (١٥١/٦).

وَعِيدِ ﴾[ق: ٤٥]، وقوله:﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦].

ومن فوائد تقرير هذا المقصد القرآني:

أولاً: إن التذكير والدعوة من الوظائف المهمة للرّسل والدعاة المهتدين بهديهم، وهي عماد صلاح الأمة، بل ونجاتها في الدنيا والآخرة، قال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٤ – ١٦٥].

ثانيًا: مع عموم الأمر بالتذكير للنَّاس كافة، إلا أنَّ المنتفعون بهذه الذكرى هم مَن اتصف بصفة الإيمان، والخوف من الوعيد، والخشية في الغيب، فقد قال جل وعز: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾[يس: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥]، وقال جل ثناؤه: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾[الأعلى:٩-١١].

ثالثاً: اطمئنان النبي ﷺ، وذهاب ما قد يَعْلِق بنفسه الزكية من الحرج والحزن بسبب عدم تذكر الذين كفروا واستجابتهم لداعي الله[1]، قال

(١)تفسير ابن كثير (١٣٧/٥), التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠٦/٣٠ – ٣٠٧).

سبحانه:﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾[الكهف: ٦]، وقال جل ثناؤه:﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]، وقال تعالى ذِكره:﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].

رابعًا: لفت نظر العِباد إلى التعلق بالله رغبةً ورهبةً، وعدم الغلو في الأنبياء والصالحين، فهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن أن يملكوه لأقرب النَّاس إليهم، فما بالك بمن دونهم. ودلائل ذلك في الكتاب كثيرة منها قوله جل ثناؤه:﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[الأعراف: ١٨٨]، وقوله سبحانه:﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾[يونس: ٤٩]، وقوله تعالى:﴿قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ﴾ [سبأ: ٥٠]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله:﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. قال: "يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً،

ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً"[1].

المقصد الرابع: الدَّعوة إلى النَّظر والتفكر في آياتِ الله.

وقد جاء تقرير هذا المقصد في سورة الغاشية، تقريراً واضحاً في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠] والمراد بالنَّظر في الآية: التَّأمّل والتفكر، وذلك "مِن أَجَلِّ مَقَاصِد الْقُرْآن"[2] ومن أفضل أعمال القلب وأنفعها للعبد[3]، فالنَّظر والتفكر عبادة قلبية، يزيدُ بها الإيمان، ويكمل بها اليقين، فهي تُنَمِّي في القلب معرفة عظمة الله وقدرته، ومحبته وخوفه ورجائه؛ لذا تنوعت طرائق الكتاب العزيز في الدعوة إلى هذا المقصد والتنبيه على فوائده العظيمة:

فمنها: توجيه النظر إلى التأمل والتفكر في أصل خَلْقِ الإنسان، ومِن فوائده التذكير بتحقق البعث بعد الممات، قال تعالى:﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير, باب ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ , ح(٤٤٩٣), (١٧٨٧/٤).

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة, لاين القيم (٢٠٥/١).

(٣) مفتاح دار السعادة (١٨٣/١).

خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ﴾ [الطارق: ٥ - ٨].

ونجد التصريح بهذه الفائدة أيضًا في المواطن التي جاء فيها توجيه النظر إلى التأمّل والتفكر في المطر وآثاره، فقال عز مِن قائلٍ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ۝٤٨ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمُبۡلِسِينَ ۝٤٩ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الروم: ٤٨ - ٥٠].

وفي آيات الكتاب العزيز حث على النَّظر والاعتبار بأحوال الأمم الماضية، وأثر ذلك في استشعار الضعف البشري المطلق في مقابل عظمة البارئ سبحانه وقدرته المطلقة، قال جل ثناؤه: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا﴾ [فاطر: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ﴾ [غافر: ٢١].

وفي الآيات توجيه النظر إلى التأمل والتفكر في كيفية إخراج الطعام من الأرض، وأثر ذلك في استشعار العبد لهذه النعمة، قال جل وعز: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس: ٢٤ - ٣٢].

وفي النظر والتفكر عبرة وعظة لمن حقق الإيمان، قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩].

وفي مقابل ذلك كان الإعراض عن الإيمان بالله تعالى أعظم صادٍّ عن الاتعاظ والاعتبار بالتفكر في ملكوت السموات والأرض قال جل وعز: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

وفي سنة النبي ﷺ تطبيق لهذا المقصد القرآني بفعله وقوله، ففي الصحيحين مِن حديثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَتَحَدَّثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً، ثُمَّ رَقَدَ. فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ قَعَدَ

فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] (١). وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال ﷺ: "لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية كلها" [آل عمران: ١٩٠](٢).

المقصد الخامس: الحث على التعبد المشروع بالاتباع لا الابتداع.

إخلاص العبودية لله جل ثناؤه من المقاصد الكلية لنزول القرآن الكريم، ومن الدلائل المُصرّحة بذلك قوله جل وعز: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[هود: ١-٢]، ومن مقاصد نزول القرآن الكريم أيضًا: اتباع الوحي ومن دلائله قوله سبحانه: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[الأعراف: ١-٣].

---

(١) صحيح البخاري, كتاب التفسير, تفسير سورة آل عمرآن, باب ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ , ح(٤٢٩٣), (١٦٦٥/٤), صحيح مسلم ح(١٨٢), (٥٢٦/١).

(٢) صحيح ابن حبان (٢/ ٣٨٧).

والتعبد المشروع لله ما جُمِع فيه بين الإخلاص في العبودية لله ومتابعة شريعة خاتم النبيين ﷺ قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[الكهف: ١١٠]، وفي الصحيح عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ"(١). وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ"(٢).

والتعبد المشروع هو التعبد المرضيّ المقبول عند الله جل ثناؤه؛ لذا كان من أدعية الأنبياء والصالحين من عباد الله: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾[النمل: ١٩، الأحقاف: ١٥].

وقد جعل الله سبحانه اختبار العباد بهذا التعبد المشروع؛ هو سبب خلقه للوجود، فقال جل ثناؤه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]. وقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الكهف: ٧].

---

(١) صحيح مسلم (١/١٣٤), ح(١٥٣).

(٢) صحيح البخاري, كتاب الصلح, باب إذا اصطلحوا على صلح جور, (٢/٩٥٩), ح(٢٥٥٠), صحيح مسلم (٣/١٣٤٣), ح(١٧١٨) واللفظ له.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الملك: ٢]. قال ابن كثير رحمه الله: "ولم يقل: أكثر عملاً، بل ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، ولا يكون العمل حسنًا حتى يكون خالصًا لله عز وجل، على شريعة رسول الله ﷺ. فمتى فقد العمل واحدًا من هذين الشرطين بطل وحبط"(١). "وهذان الأصلان جِماع الدِّين"(٢) و"أصل الإسلام"(٣)، قال جل وعز: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾[الكهف: ١٠٣-١٠٤]. والآية عامة في كل من عَبَد الله تعالى على غير طريقة مرضية؛ يحسب أنه مصيب فيها، وأن عمله مقبول، وهو مخطئ، وعمله مردود(٤).

وقد جاء في سورة الغاشية إشارة إلى هذا المقصد القرآني؛ إذ رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾[الغاشية: ٢-٣] قال: "يعني اليهود والنصارى تخشع ولا ينفعها

(١) تفسير ابن كثير (٣٠٨/٤).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم, لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣٧٣/٢).

(٣) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٤٨/٢٧).

(٤) تفسير ابن كثير (٢٠٢/٥).

عملها"[1]. وعن أبي عمران الجوني[2] قال: "مر عمر بن الخطاب ﷺ براهب، فوقف. ونُودِي الراهب، فقيل له: هذا أمير المؤمنين، فاطّلع فإذا إنسان به من الضُّرِ والاجتهاد وتَرْك الدنيا، فلما رآه عمرُ بكى، فقيل له: إنه نصراني. فقال: قد علمت ولكني رحمته، ذكرت قول الله: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾فرحمت نصبه واجتهاده، وهو في النار"[3].

ويؤخذ مِن هذه التفاسير المروية عن عمر وابن عباس ﷺ أنهما حَمَلا الآية على مَن صحت نيته في التعبد لله، لكنه وقع في تعبدٍ غير مشروعٍ؛ لأنه لم يؤمن بالنبي محمد ﷺ، ولم يتبعه. فليس الفضل إذاً بكثرة التعبد والنَّصَبِ والاجتهاد؛ إنما الفضل كل الفضل مقرون بالاتباع وموافقة السّنة، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ذمّه للخَوَارِجِ: "يَحْقِرُ أَحَدُكُم صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِم، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِم، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُم، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ"[4].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم, كما في الدر المنثور للسيوطي (٣٨٢/١٥).

(٢) عَبد المَلِك بن حبيب الأزدي، أو الكندي، أبو عِمْران الجوني البَصْرِيّ, مشهور بكنيته, مات سنة ثمان وعشرين ومئة, وقيل بعدها. تقريب التهذيب (٣٦٢).

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٤٢٠/٣)، والحاكم في المستدرك (٥٦٧/٢), وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا لابن المنذر (٣٨٢/١٥).

(٤) رواه البخاري في صحيحه,

الخاتمة

في ختام هذا البحث يمكن رصد أهم النتائج والتوصيات على النحو التالي:

أولاً: من أهم النتائج:

١- تحديد أربع خصـــائص ومعايير تُميِّز المقاصِـــد القرآنيّة، وهي: البيان والوضوح، والوسطية والاعتدال، والكمال والتمام، وأن يكون مما أُنزل القرآن الكريم لأجله، وعني بتحقيقه.

٢-استنباط ثمانية مقاصد قرآنية من سورة الغاشية:

منها **ثلاثة مقاصد كُلية**، وهي: إثبات البعث والحساب، وهداية المكلف، والإنذار والتذكير.

وخمسة مقاصد جزئيّة، وهي: صيانة الجوارح عن اللغو الآثام، والحث على العمل الصالح، وتقرير مبدأ (لا إكراه في الدِّين)، والتأكيد على أنّه ليس للرُّسل مِن أمر الدعوة إلا التذكير والبلاغ، والدّعوة إلى النّظر والتفكر في آيات الله، الحث على التعبد المشروع بالاتباع لا الابتداع.

٣-استخراج مقاصد القرآن الكريم، هي عمليةٌ استنباطية، لابد فيها مِن مراعاة شروط الاستنباط وضوابطه.

٤-البحث في موضـــوع المقاصـــد القرآنية له ارتباط وثيق بموضـــوع التفســـير الموضوعي.

٥-التفطن للمعاني والمحتملات التفسيرية يساهم في استخراج بعض المقاصد القرآنية.

٦-من أعظم قواعد التأثر بالقرآن الكريم: شدة استحضار حقيقة الخطاب القرآني عند قراءته أو الاستماع له.

٧-سورة الغاشية من السُّور التي طال فيها عرض صور النعيم في الآخرة مقابل صور العذاب.

٨-التولي والكفر؛ من أعظم موانع قبول الهداية القرآنية، والاستجابة لدعوات الأنبياء والمصلحين.

ثانيًا: من التوصيات:

١-الاهتمام بتناول موضوعات مقاصد القرآن الكريم مِن منظورٍ دعويٍّ، كأسلوبٍ من أساليب الدعوة إلى الله.

٢-الاهتمام بتناول موضوعات مقاصد القرآن الكريم من منظورٍ تربويٍّ، كصورة من صور التربية بالقرآن الكريم.

فهرس المصادر والمراجع

١-أدب الكلام وأثره في بناء العلاقات الإنسانية في ضوء القرآن الكريم، د. عودة عبد عودة عبد الله، ط١، دار النفائس، الأردن، ١٤٢٥هـ.٢٠٠٥م.

٢-أسماء سور القرآن وفضائلها، د. منيرة محمد ناصر الدوسري، ط١، الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ.

٣-أمهات مقاصد القرآن وطرق معرفتها ومقاصدها، د. عز الدين بن سعيد كشنيط الجزائري، ط١، عَمّان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ٢٠١١م.

٤- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروزابادي، تحقيق محمد علي النجار، (د.ط)، المكتبة العلمية، بيروت، (د. ت).

٥- البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، ط١، منشورات مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٦- تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد عطية سالم، مطبوع مع أضواء البيان، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، (د.ط)، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ١٤١٣هـ.

٧-التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، (د.ط)، تونس، الدار التونسية، ١٩٨٤م.

٨-تفسير القرآن، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق د. مصطفى مسلم، ط١، الرّياض، مكتبة الرشد، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٩-تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني، تحقيق ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، ط١، الرياض، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٠-تفسير القرآن العزيز، محمد بن عبد الله ابن أبي ومنين، تحقيق حسين بن عكاشة وآخرين، ط١، (د.م)، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١١-تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق سامي بن محمد السلامة، ط٢، الرياض، دار طيبة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٢-تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، عبدالرحمن بن محمد ابن ابي حاتم الرازي، تحقيق أسعد محمد الطيب، ط٣، مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٣-التفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.

١٤-تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.

١٥-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

١٦-جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ط١، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

١٧-جامع الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، ومحمد عبد الباقي، وكمال الحوت، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ .

١٨-الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، ط١، القاهرة، دار الشعب، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٩- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد الأزدي، تحقيق رمزي منير بعلبكي، ط١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.

٢٠- جهود الأمة في مقاصد القرآن الكريم، د. أحمد بن عبد السلام الريسوني، مطبوع ضمن بحوث المؤتمر العلمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه، بعنوان: جهود الأمة في خدمة القرآن وعلومه، ط١، الرباط، المغرب، مؤسسة البحوث والدراسات العلميّة، مبدع، ٢٠١١م.

٢١- جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن، د. مسعود بو دوخة، مطبوع ضمن بحوث المؤتمر العلمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه، بعنوان: جهود الأمة في خدمة القرآن وعلومه، ط١، الرباط، المغرب، مؤسسة البحوث والدراسات العلميّة، مبدع، ٢٠١١م.

٢٢-الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز

هجر للبحوث والدراسات، ط١، مصر، مركز هجر للبحوث والدراسات، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٣-زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، تحقيق محمد بن عبد الرحمن، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٢٤-السُّنن الصُّغرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيبٍ النسائي، بعناية عبد الفتاح أبو غدة، ط٣، بيروت، مكتب المطبوعات بحلب، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٢٥-السُّنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٦-سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، (د.ت).

٢٧-سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود الأزدي السجستاني، تحقيق محمد عوامة، ط١، بيروت، مؤسسة الرّيان للطباعة والنشر، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٨-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٩-صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، القاهرة، دار إحياء التراث العربي، عيسى البابي الحلبي، ١٤١٢هـ.

٣٠-علاقة مقاصد الشريعة بالقرآن وأهميتها في تدبره، د. يوسف أحمد بدوي، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، جدة، م(١٠)، (١٩)، ١٤٣٦هـ، ٢٥٨-٣٢٠.

٣١-عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني الحنفي، (د.ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

٣٢-العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، (د.ط)، دار ومكتبة الهلال، (د.ت).

٣٣-فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجرٍ العسقلاني، ط١، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٤-في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم، ط١٧، القاهرة، دار الشروق، ١٤١٢هـ.

٣٥-لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي ابن منظو الأنصاري، ط١، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٠م.

٣٦-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي بفاس، (د.ط)، المغرب،

مطبوعات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة المغربية، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م، وفي طبعة ثانية: بتحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري وآخرين، ط٢، قطر، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، ١٤٢٨هـ – ١٩٧٧م.

٣٧–المدخل إلى مقاصد القرآن، د. عبد الكريم حامدي، ط١، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٨هـ –٢٠٠٧م.

٣٨–المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م

٣٩–مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، عبد الكريم حامدي، ط١، بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٩هـ.

٤٠–الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، الخُبَر، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٤١–الهداية في القرآن الكريم، د. العباس بن حسين الحازمي، ط١، الرياض، إصدار الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.